عبر من قصص القرآن الكريم

قصة قارون

بقلم

إبراهيم يوسف نصير

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

قصة قارون.- الرياض.

٤٦ ص، ١٧X ٢٢ سم - (عبر من القرآن الكريم)

ردمك: ٦ - ٩٦٣ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١- قصص القرآن أ - العنوان

ديوي ٢٢٩,٥ ٢٢/١٤٦٦

ردمك: ٦ - ٩٦٣ - ٢٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/١٤٦٦

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ
مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا
وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ
﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ
اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا
وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٧٦ - ٨٣]

obeikandl.com

مقدمة

نظرة سريعة على العصر الذي عاش فيه قارون من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

من الناحية السياسية تفرد فرعون بالحكم فاستبد وطغى واستعبد شعبه بالقوة المنفذة لإرادته والممثلة في هامان وزيره، ومن الناحية الاجتماعية كانت الطبقية هي السمة المميزة لهذا العصر، فهناك طبقة الأشراف أو الأسياد وطبقة العبيد، طبقة تملك كل شيء، وأخرى لا تملك أي شيء، هذا التميز الطبقي غرس الحقد في الطبقة الدنيا على الطبقة العليا. ومن هنا تفكك المجتمع وتمزقت أواصر الترابط الاجتماعي.

والناحية الأخيرة هي القوة الاقتصادية الممثلة في قارون الذي أطغاه المال وجعله يستعلي على بني جنسه وقد ساندت هذه القوة الاقتصادية قوة فرعون وآزرته في طغيانه.

خلاصة القول: اجتمعت هذه القوى على ظلم هذا الشعب فظلم الحاكم ومساعدة وزيره له على استبداده ودعم القوة الاقتصادية له كل هذا أدى إلى مجتمع الطائفية والطبقية.

على أنه لا يعدم المجتمع وجود مجموعة من أفراده يتمتعون بالصلاح

والتقوى وحسن الأخلاق، وعلى الرغم من قلتهم فإن لهم أثرهم الواضح في تغيير بعض المفاهيم والنصح لأبناء مجتمعهم.

وما دمنا نستقي قصصنا من كتاب الله الكريم فيجب علينا الوقوف عند حدود ما ورد فيه، وفي هذه القصة لم يحدد القرآن زمانًا ولا مكانًا؛ لأن القصة كما وردت في القرآن كافية لأداء الغرض منها دون الحاجة إلى زمان أو مكان.

والآن نستعرض هذه القصة من كتاب الله تعالى.

وبالله التوفيق.

نسب قارون وصلته بموسى عليه السلام:

هو: قارون بن يصهب بن قاهث. وهو من بني إسرائيل قوم موسى عليه السلام وليس قبطيًّا كما جاء في بعض الروايات، ولكن ما عليه أكثر أهل العلم – كما جاء في قول ابن كثير – أنه ابن عم موسى عليه السلام –؛ لأنهم يقولون: إن موسى بن عمران بن قاهث، وعلى ذلك فهما يلتقيان في جدهما «قاهث».

قارون في كتاب الله:

المتتبع لآيات الذكر الحكيم يجد أن قارون ذكر في القرآن الكريم في المواضع الآتية:–

الأول في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤].

الثاني في قوله تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٩، ٤٠].

الثالث في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ..﴾.

[القصص: ٧٦ – ٨٣]

إذن من خلال قراءتنا لهذه الآيات ندرك أن الله سبحانه وتعالى عندما بعث موسى عليه السلام نبيًّا رسولاً إلى فرعون وملئه كان هناك ثالوث باغٍ يحكم مصر يتمثل في فرعون وهامان وقارون، وهذا يدلنا على أن قارون كان في هذه الأثناء في قمة قوته الاقتصادية التي تؤازر قوة الحكم الفرعوني. إضافة إلى ما كان يمثله من فتنة لقومه بكثرة ماله، وخروجه في أبهى حلله في الوقت الذي كان المجتمع بصفة عامة يعيش حالة فقر مدقع وذل واستعباد، وكما نعلم أن فرعون قد اعتمد على قوة قارون المالية في دعم نظامه الظالم وحكمه المستبد واستعلائه وجبروته، ووجد فيه قوة اقتصادية يمثلها شخص مستبد متكبر مثله.

ركائز الحكم في عهد فرعون:

عندما أرسل الله موسى إلى فرعون وملئه كان النظام الفرعوني الحاكم في مصر يقوم على ركائز أربعة، وكل ركيزة منها تمثل قوة لها شأنها في حفظ النظام ودوامه وتعمل على تقويته، وهذه الركائز هي:

الأولى: القوة الاقتصادية وسبق أن قلنا إن هذه القوة يمثلها قارون.

الثانية: القوة التنفيذية وهذه يمثلها هامان والملأ من كبار قوم فرعون.

الثالثة: القوة الإعلامية التأثيرية وهذه يمثلها السحرة المسترهبون من قبل فرعون، هؤلاء الذين يخضعهم لإرادته إما بالقوة الطاغية أو الإغراء بالجوائز المالية الثمينة وهكذا...

الرابعة: قوة فرعون نفسه المعتمدة على القوى الثلاث السابقة حيث يستخدمها لصالحه بالسيطرة عليها وتوظيفها في إخضاع شعبه له.

ولذلك نستطيع إدراك السر في ربط هذه القوى ببعضها، ومن هنا قرنت الآيات الكريمة بين الطغاة الثلاثة فرعون، هامان، قارون، فالجامع بينهم هو الكفر والطغيان والفساد.

طغيان فرعون بسبب ملكه وسلطانه؛ ولذا دعا قومه إلى عبادته بصفته إلهًا لهم وأنه لم يجد لهم إلهًا آخر.

وطغيان هامان جاء بسبب وظيفته ومركزه في حكومة فرعون، فهو وزيره وقوته المنفذة لإرادته الظالمة، ولقد أطلق فرعون يده ليفعل في قومه ما شاء ما دام الأمر في النهاية في مصلحة فرعون.

أما طغيان قارون فبسبب ماله وكنوزه، هذا المال الذي أطغاه وأعمى بصيرته فجعله يتكبر على قومه ويستعلي عليهم ويناصر فرعون وهامان في

ظلمهما ويشد من أزرهما في استعبادهما للشعب واستعلائهما عليه.

ولذلك لا نعجب كثيراً عندما نرى اتفاقًا في الموقف بين الطغاة الثلاثة حين استقبلوا موسى عليه السلام بالتكذيب، واتهامه بالسحر، وأنه جاء يخرب عليهم شعبهم.

فائدة مهمة:

تؤكد الآيات القرآنية أن قارون من بني إسرائيل قوم موسى عليه السلام. كما أنه من الراجح عند علماء التفسير أن هلاكه كان في مصر قبل الخروج منها، وقبل غرق فرعون، كما تؤكد أنه قد انفصل عنهم وعن موسى الإسرائيلي مثله، وفضل الانحياز إلى فرعون القبطي الحاكم الظالم ضد قومه، أليس في هذا دليل واضح على التقاء وتحزب الكفار، والتقاء الطغيان على محاربة الإيمان وأهله ومساندة الباطل ضد الحق وأهله، ويؤكد هذا الملمح لنا أنه مهما اختلفت أصول وأجناس الكفار فإنهم يجتمعون على هدف واحد، هو القضاء على الإيمان وأهله، فالكفر ملة واحدة.

مفاتح كنوز قارون:

إذا تتبعنا كلمة كنوز نجد أنها لم ترد في كتاب الله الكريم إلا مرتين وهما معًا في قوم فرعون.

فالمرة الأولى: في الحديث عن كنوز قارون والذي نحن بصدد قصته الآن هذه الكنوز التي خسف الله بها الأرض بعد ذلك وزالت الكنوز بزوال قارون مالكها.

المرة الثانية: جاءت كلمة كنوز في التعقيب على هلاك فرعون وغرقه هو وجنوده قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧ - ٥٩].

على أن تعبير القرآن عن أموال قارون بالكنوز يوحي لنا بأنه قد حصل هذه الأموال بأقل جهد يبذله، وعمل يؤديه، وأنه كان يدخرها بعضها فوق بعض، ولا يخرج منها شيئًا للمحتاجين من الفقراء والمساكين ممن هم في حاجة إليها لإصلاح شانهم أو سد رمقهم.

إضافة إلى هذا الفهم الذي نستشفه من الآيات القرآنية نفهم شيئًا آخر وهو حرصه الشديد على أن يزيدها أكثر فأكثر فما كان يقنع أو يشبع منها! ولكن.

ما المراد بالمفاتيح هنا؟

هناك من يرى أنها المفاتيح التي تفتح بها الخزائن التي تكنز فيها الأموال. ويرى بعضهم أن المفاتح غير المفاتيح؛ لأن المفاتح جَمْع مَفْتَح وهو

المكان. وعلى الرأي الأخير تكون كلمة المفاتح تعني الخزائن التي توضع فيها كنوز قارون، وعلى ذلك يتوافق هذا المعنى مع كلمة «تنوء» بالعصبة أولي القوة أي: عندما يريد حملها عصبة من الرجال الأقوياء فإنها تثقلهم وتتعبهم، ولا يكادون يحملونها ولا يمكن أن ينهضوا بها.

نحن نرفض الإسرائيليات حول قصة قارون:

قبل الاسترسال في أحداث هذه القصة لابد أن نوضح أنه من الواجب علينا رفض كل الإسرائيليات التي حيكت حول هذه القصة، ويجب علينا أن نقف عند النص القرآني وأصح ما فسر به بالدقة وصحة العقيدة، فقد خاض رواة الإسرائيليات في الحديث مثلا عن مفاتيح خزائن كنوز قارون وذهب بعضهم إلى أن هذه المفاتيح كانت تحمل على سبعين بغلاً، ولا يزيد حجم الواحد منها على إصبع.

والحق يقال: إن الإمام ابن كثير كفانا الرد على من زعموا أن قارون كان يعرف اسم الله الأعظم، وأنه كان يتقن «الكيمياء» التي تحول المعادن إلى ذهب فقال: «وأما من زعم أن المراد من ذلك أنه كان يعرف صنعة الكيمياء، أو أنه كان يحفظ الاسم الأعظم فاستعمله في جمع الأموال فليس بصحيح؛ لأن الكيمياء تخييل وصنعة، ولا تخيل الحقائق ولا تغيرها، ولا تشابه صنعة الخالق. والاسم الأعظم لا يصعد الدعاء به من كافر...»

المال وأثره في النفس البشرية:

من الغرائز التي أوجدها الله في الإنسان غريزة حب المال، فالمال إذن منذ لأزل زينة الدنيا وبهجتها، وأساس الحياة وقوامها، والنفوس البشرية أمام هذا لمال فريقان: من يحب المال حبًّا يستولي على قلبه ويجعله كل مبتغاه في هذه الدنيا ويظل كذلك حتى يطغيه المال، والفريق الثاني يحب المال حبًّا لا يطغيه ويطلبه ليحسن التصرف فيه واستثماره في طاعة الله ورضاه.

فالفريق الأول إذا استحوذ على المال طغى وتكبر، وظن أن أحداً لن يقدر عليه، وخيل إليه أن الناس جميعًا من طينة غير طينته، أو أنهم ما خلقوا إلا مسخرين له، فإذا تكلم سمعوا له، وإذا أشار كانوا عند إشارته، وإذا نادى استبقوا لتلبية ندائه، أو على الأقل يجب أن يكونوا كذلك، وإلا فالويل لمن تحدثه نفسه بالعصيان، والحرمان نصيب من يقعد عن نصرته أو يتوانى عن تحقيق أمانيه.

ومما لا شك فيه أن قارون لن يكون بدعًا في الحياة، وإنما هو كغيره من هؤلاء الصنف من الناس، يسير سيرتهم، ويترسم طريقهم، فبغى على قومه، وفرض سلطانه عليهم، وسامهم بطشه وجبروته.

هكذا تحدث القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ...﴾.

صاحب القصة وبيان مسلكه:

أما صاحب القصة فهو قارون الذي تحدث القرآن عن كثرة ماله وبأن المجموعة القوية من الرجال تعجز عن حمل مفاتح هذه الكنوز. أما مسلكه فهو البغي على قومه بسبب هذا الثراء الذي أورثه كبراً واستعلاءً على أن الآية الكريمة لم تبين نوع هذا البغي، وفيم بغى على قومه، وذلك ليكون البغي مجهولاً بحيث يشمل شتى صور البغي.

فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم – كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان – وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال، حق الفقراء في أموال الأغنياء، وبذلك تفسد القلوب، وتصبح الحياة قاسية وربما بغى عليهم بغير ذلك.

لقد تكبر قارون وعلا بعد أن أنعم الله عليه بالثراء والثروة. وكثيرون أولئك الذين لم يشكروا النعم، وإنما زادتهم طغياناً.

وتبرز القصة صورة الإنسان الطاغي الذي نسي نشأته ومصيره، وأبطره الغنى.

ولكن أليس هناك عاقل ينصح، وعالم يرشد، وحكيم يصلح؟

نصح وإرشاد:

لقد استخدم قارون الكنوز والأموال في الصد عن سبيل الله، ومحاربة رسوله والوقوف أمام الدعوة، بل وصل به الأمر إلى اتهام رسول الله موسى عليه السلام بالكذب والسحر، ولقد انقسم قومه إلى قسمين بشأن الفتنة بقارون وماله وزينته هما:

١- قوم مؤمنون صالحون وصفهم الله تعالى بأنهم «أوتوا العلم» وهؤلاء هم الذين لم يخدعوا بماله ولم تفتنهم زينته.

٢- قوم مفتونون، ضعاف الإيمان، غبطوا قارون على ما هو فيه وتمنوا أن يكونوا مثله في المال والزينة.

فماذا نتوقع إذن؟

قام المؤمنون الصالحون بواجبهم تجاه هذا الظالم الباغي فنصحوه وأرشدوه إلى الطريقة الصحيحة في استخدم الأموال، وماذا يجب عليه تجاه نفسه أولاً ثم تجاه قومه ثانيًا، وقالوا له كما يبين القرآن الكريم: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾.

وفي هذا القول جماع الخير في الدنيا والآخرة، وصلاح المجتمعات، ونماء الخير بين الناس، وعلى هذا فهذه النصائح الغالية إنما ترشدنا إلى:

المنهج الإلهي الذي يتفرد بقيمه وخصائصه بين سائر مناهج الحياة.

اشتمل هذا المنهج على مجموعة من القيم والمبادئ الأخلاقية التي تعالج أمراض النفوس البشرية، كما رسمت الطريق الصحيح في استخدام المال وحسن التصرف فيه ليؤدي – وهو عصب الحياة – دوره في جمع القلوب على المحبة، ونماء الخير في المجتمع، وقوة أهله وحسن حياتهم. فماذا نرى في هذا المنهج من خلال هذه النصائح المقدمة إلى قارون؟

١- النهي عن الفرح الموصل للبطر: «لا تفرح» ولكن هل ينهى الله عن الفرح عمومًا؟

عندما ننظر إلى آيات القرآن الكريم نرى أنها تقسم الفرح إلى قسمين:-

١- الفرح المباح. ٢- الفرح المحرم.

أما الفرح المباح فهو: انشراح الصدر والسعادة والسرور، فعندما يفرح المؤمن بطاعة الله، ويسر بحسن عبادته له، ويسعد بحسن اتصاله بالله، عندما يتلذذ بنعم الله عليه فيشكر الله عليها ويستخدمها في طاعة الله، وإسعاد إخوانه المحتاجين من الفقراء والمساكين، عندما يستخدمها في نصرة

دين الله والجهاد في سبيله، حينئذ يكون فرحه وسعادته في محلهما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

ومن نظرتنا في هذه الآية الكريمة نجد بيانًا واضحًا بالفرح المباح وهو الفرح بفضل الله ورحمته وإنعامه، وأن فضل الله خير مما يجمعون من متاع الدنيا الفاني.

وأما الفرح المحرم فهو: فرح يقوم على البطر والتكبر، ويؤدي إلى الاستعلاء على الناس، والطغيان والظلم، هذا الفرح بهذا المعنى يؤدي إلى غضب الله وانتقامه من هؤلاء وعلى هذا فعندما نهى المؤمنون قارون عن الفرح إنما نهوه عن الفرح القائم على الغرور والفساد.

والنتيجة في «لا تفرح» لا تفرح فرحًا طاغيًا ينسيك المنعم بالمال، وينسيك نعمته وما يجب لها من الحمد.

وفي نهاية هذا النهي يأتي الحكم القوي الذي يردع ويخيف من له قلب يعي ونفس تخشى وروح تعرف مرجعها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾. فهل اتعظ قارون؟

٢- الموازنة بين الدنيا والآخرة عند المسلم:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ... إلخ ﴾ . في هذه النصيحة الثانية نرى محاسن هذا المنهج الرباني العظيم حيث اعتدال المنهج الإلهي القويم.

منهج يعلق قلب من عنده المال بالآخرة وفي الوقت نفسه لا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة، بل يحضه على ذلك ويكلفه إياه تكليفًا حتى لا يتزهد زهدًا يؤدي به إلى إهمال الحياة ويضعفها.

لقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس، ولكي يجدوا في الحياة، ويعملوا في أرض الله الواسعة لتوفيرها وتحصيلها، وبذلك تنمو الحياة وتتجدد، ومن هنا تتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض.

يوجه هذا المنهج الرباني الإنسان ليجعل وجهته في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرف عن طريقها، ولا يشغل بالمتاع عن التكاليف، وأن يجعل المتاع لونًا من ألوان الشكر للمنعم وحسن تقبل، الانتفاع بها، ومن هذا يصبح طاعة من الطاعات يجزي الله عليها بالحسنى.

وهكذا يتحقق التعادل والتناسق في حياة الإنسان، فلا حرمان فيها ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية.

كما نلمح في هذه النصيحة توجيه إلى التواضع والاعتراف بأن ما معه

إنما هو فضل ومنحة من الله.

إذن لا بد للمؤمن أن ينسق بين الأمرين بتوازن بحيث لا يطغى واحد على الآخر فالماديون والشهوانيون يقبلون على الحياة الدنيا، ويوظفون كل ما آتاهم الله من النعم للدنيا فقط وهذا ما فعله قارون ومن لف لفه وسار على دربه، وقد رد على غلو هؤلاء الماديون مغالون في الجانب الآخر وهم الرهبان ومن شاركهم الفكر وسار على دربهم حيث نسوا نصيبهم في الدنيا وحرموا على أنفسهم المباحات وهم بذلك مخالفون للفطرة، ووقعوا في محاذير كثيرة، إن الاسلام يدعو المؤمن إلى التوسط والتنسيق بين الدنيا والآخرة، ويوزان بين مطالب الروح ومطالب الجسد وقد ورد ما يؤكد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ... إلخ**﴾ [**الأعراف**: ٣٢] الدنيا والآخرة في تصور المؤمن الحقيقي ليستا ضدين أو نقيضين وإنما هما مرحلتان متكاملتان متوازنتان.

هذا التوازن الذي سبق الحديث عنه إنما يتجلى واضحا في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾.

٣- مقابلة الإحسان بالإحسان وليس بالنكران:

في هذا العنصر يرد المنهج النعم إلى الله، وأن الله هو المحسن على عباده، ومن واجب العباد أن يقابلوا هذا الإحسان الإلهي بإحسان إلى عباد الله، أما أن يقابل الإحسان بالجحود والنكران فهذا من طبيعة النفوس الخبيثة.

وفي هذه النصيحة طلبوا منه مقابلة الإحسان بالإحسان ﴿ **وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ أي أحسن إلى خلق الله كما أحسن الخالق إليك.

الله هو المحسن في البداية بما أنعم على عباده المؤمنين، فهذا المال الذي أعطاك الله إياه إنما هو هبة منه سبحانه وتعالى، فليقابل بإحسان التقبل وإحسان التصرف، وإحسان الشعور بالنعمة، وإحسان الشكران.

فشكر النعم يزيدها، والكفران بها يعود على من كفر بها وحده يقول الله تعالى: ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ [إبراهيم: ١٧].

والأصل عند أصحاب الضمائر المؤمنة والعقول الراجحة والنفوس الصافية أن يقابل الإحسان بالإحسان قال تعالى: ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** ﴾ [الرحمن: ٦٠]. والمؤمنون من قوم قارون عندما طلبوا منه ذلك فإنما يوجهونه إلى الخير ويريدون له النفع ويهدونه إلى سبل الرشاد، وهذه هي النصيحة الصادقة.

٤- النهي عن الفساد في الأرض:-

وهذه النصيحة تأتي في سياق النصائح لقارون بعد أن أرشدوه إلى الإحسان، وهذا أمر بمعروف فكان من المناسب أن يقابله نهي عن المنكر، وهذا ما يمثله النهي عن الإفساد في الأرض، وعلى هذا تكون هذه الحالة هي المقابلة للإحسان جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾.

يغتر بعض الناس بنعم الله عليهم وخاصة نعمة المال، فعندما ينعم الله على أحد هؤلاء من أصحاب النفوس غير السوية – كما حدث مع قارون – فإنه يستخدم هذه النعم في الفساد والإفساد، ويصرف المال على شهواته وملذاته، ويدمر الأخلاق والأعراض والفضائل، وينشر المفاسد في الأرض؛ ومن هنا يحول المال إلى وسيلة إفساد وشرور وإيذاء لعباد الله، ومن هنا يصبح المال سببًا في هلاكه وتدميره وخسارته في الدنيا والآخرة، وهو في الوقت نفسه حجة عليه عند ربه يوم القيامة.

ثم يأتي تذكيرهم إياه في هذه النصيحة بحقيقة قاطعة ترهب القلوب وتقشعر لها الأبدان وهي بغض الله لهؤلاء المفسدين وإذا غضب الله على إنسان فكيف يكون مصيره دنيا وأخرى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾. يالها من حقيقة تهز الأفئدة وتنذر أصحاب الشر بسوء العاقبة.

٥- طريقان في الحياة:-

للإنسان في حياته طريقان لكل منهما نهاية، ولكل منهما صفات يتسم بها السائرون في هذه الطريق أو تلك:

أ- طريق محبة الله:

يتصف سالكوها بالصفات التي يحبها الله، بل يحرصون على الأعمال الخيرة والأفعال الكريمة التي يحبها الله من عباده.

وهذه نهايتها نعيم مقيم في الآخرة بعد رضوان الله على أصحابها وحبه لهم، وحياة طيبة في هذه الدنيا.

ب - طريق غضب الله: وهذه يتصف سالكوها بصفات لا يحبها الله، بل يحرصون على الأعمال التي تغضب الله سبحانه وتعالى، وهذه نهايتها عذاب أليم في الآخرة، بعد حياة شقية في هذه الدنيا.

٦- موجز لقواعد المنهج الرباني:-

تبين هذه الآيات الكريمة قواعد أساسية للمنهج الرباني هي ست قواعد تتضمن كل واحدة منها حقيقة إيمانية قاطعة، وطريقًا للإنسان فيه خيره:-

أ - ﴿لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾. النهي عن الاغترار بالنعمة والبطر والتعالي على الناس.

ب – ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ استخدام النعمة فيما يرضي الله وطلب الآخرة بهذه النعم.

جـ – ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ التوازن في حياة الإنسان بين مطالب الروح ومطالب الجسد.

د – ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ شكر المحسن على إحسانه وذلك بالإحسان إلى خلق الله.

هـ – ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾ النهي عن استغلال نعم الله في الإفساد في الأرض.

و – ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ التذكير بسوء العاقبة لمن يبغضه الله سبحانه وتعالى.

والآن وبعد أن عرضت الآيات الكريمة نعم الله على قارون وبينت أصله وموقفه من نعمة المال التي وهبها الله له فخزائنه كثيرة لا تستطيع حمل مفاتيحها العصبة من الرجال الأقوياء، والمال يغري ويفتن صاحبه إن لم يتسلح بقوة اليقين وصدق الإيمان، المال الذي نحبه حبًّا جمًّا، المال الذي يسلب العقول والأبصار أطغى قارون فأفسد في الأرض، وبغى على عباد الله وتكبر وظلم وجاءته النصائح السديدة من عقلاء قومه المؤمنين الذين أدركوا أثر المال في نفس قارون وأمثاله، وأرادوا أن يأخذوا بيده إلى الطريق القويم

لحسن استخدام الأموال، فهل استجاب قارون لنصحهم، واستمع بعقله إلى قولهم؟

الردة الفاجرة المغرورة:-

لقد قدم المؤمنون من قومه نصائح له، يريدون بها إنقاذه، قدموا له حقائق إيمانية تصور المنهج الرباني للبشرية كلها، ولكن قارون أصم أذنيه عنها، وأغلق قلبه أمامها، وجاء رده في جملة تحمل معاني الفساد والإفساد بشتى صورها وألوانها قال كما جاء في كتاب الله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي**﴾. أي إنما أوتيت هذا المال استحقاقًا على علمي الذي طوّع لي جمعه؛ وعلى ذلك فهذا المال ليس مال الله، وهذه الكنوز ليست من الله: هذا المال مالي، وهذه الكنوز أنا الذي جمعتها ونميتها واستثمرتها، فهو نتيجة طبيعية لحسن تخطيطي، وذكائي وموهبتي ونشاطي وحركتي في الحياة، ولولا ذلك لما ملكت هذه الكنوز، فكيف تقولون هذا مال الله، لماذا تملون عليّ طريقة خاصة في التصرف فيه؟ وكيف تطلبون مني أن أتقيد في إنفاقه بتوجيهات غيري؟ وكيف سمحتم لأنفسكم أن تتحكموا في ملكيتي الخاصة.

وهذا الرد من قارون على المؤمنين من قومه يدل على أن فطرته قد

انحرفت بتأثير المال، وقال عن نعمة الله وفضله عليه: إنما أو تيته على علم عندي، وهذا الفهم القاروني هو منطق كل مخدوع بعلم أو صنعة أو حيلة يعلل بها ما اتفق له من مال أو سلطان غافلاً عن مصدر النعمة، وواهب العلم والقدرة ومسبب الأسباب، ومقدر الأرزاق.

إن هذا المنطق لا يرى أن المال ابتلاء من الله، واختبار للعبد الذي أنعم الله عليه، وأنه إن لم يحسن الاستثمار والإنفاق، ويعمل فيه بأمر الله؛ فإنه سيخسر هذا المال، بل سيخسر نفسه ويدمر حياته كلها.

لمنطق القاروني الاقتصادي وأثره في المجتمعات الآن:

هناك كفار متكبرون يقتدون بقارون في منطقه وفهمه، وهم موجودون الآن ولا يسمحون لأحد بالتدخل في أموالهم، بل يرفضون وضع القيود والضوابط الأخلاقية على أموالهم.

إن المنطق القاروني هو منطق كل متكبر مغرور بماله، وهو نفسه منطق الرأسمالية المعاصرة في مجتمعاتنا، التي تقوم على شعار «دعه يعمل، دعه يمر» أي اترك المال يكسب ويعمل واتركه يكسب ما يشاء ولا تعترض سبيل المال ولا تقيده بقوانين أخلاقية أو قيم إنسانية.

والمتأمل فيما يجري الآن في مختلف دول العالم الكافر أو غير الكافر

يجد بعض الآثار للمنطق القاروني القديم ممثلة الآن في منطق بعض الأثرياء من أصحاب رؤوس الأموال وعدم الالتفات إلى قيم وأخلاق المجتمعات.

لقد أهلك الله كفاراً أغنياء أقوياء قبل قارون وكانوا أشد منه قوة وأكثر منه أموالاً ولم تنفعهم قوتهم، ولم يمنعهم مالهم من عذاب الله، ولكن قارون في خضم طغيانه وشدة عنفوانه غفل عن معرفة هؤلاء وأخذ العبرة منهم والاتعاظ بما حصل لهم.

وهكذا القارونية الحديثة السائرة في هذا الطريق طريق قارون القديم الجديد، أعماها البطر وأطغاها المال، فلم يلتفت هؤلاء إلى ما جرى قديما لأمثالهم، وما حل بمن يقلدونهم، وينهجون نهجهم وسوف يأتيهم عذاب الله وهم عنه غافلون.

تهديد وإنذار:

لقد جاءه تهديد وإنذار قبل إتمام الآية، رداً على قولته الفاجرة المغرورة في قوله تعالى: ﴿**أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا... إلخ**﴾ فإذا كان قارون ذا قوة ومال فليعلم أن الله قد أهلك من قبله أجيالاً كانت أشد منه قوة، وأكثر مالاً، وإذا علم ذلك فقد نجى نفسه وماله، وجاء هذا التهديد ليخوفه هو وأمثاله من المجرمين وليعلمهم

أنهم أهون على الله حتى من أن يسألهم عن ذنوبهم.

ونحن نلمس في ذلك رحمة الله بعباده حيث يكشف لهم عن الشر، وينبههم إلى مواطن الخطر، ويحذرهم الفتنة، وبعد ذلك لا حجة لهم، ولا عذر لهم بعد هذا البيان.

زينة وفتنة:

أراد قارون أن يتيه ويختال على قومه؛ فخرج عليهم في زينته ليفتنهم مظهراً لهم أنه الأقوى والأغنى، ومن ثم فهو الأفضل؛ لأنه يعيش حياته بما جمع من كنوز، ويتمتع بما لديه من أموال، أما هم فإنهم محرومون من لذة العيش ولين الحياة وسعادتها، وعندما خرج في هذه الزينة طارت لها قلوب فريق من قومه، وتمنوا لأنفسهم مثل ما أوتى قارون، وأحسوا أنه أوتي حظاً عظيماً يتمناه كل محروم، وتهفو إليه نفوس المحتاجين.

على حين يستيقظ الإيمان في قلوب فريق آخر من قومه؛ فيعتزون بإيمانهم على فتنة المال، وزينة الحياة الدنيا الفانية، ويذكّرون إخوانهم المغرورين المأخوذين في ثقة ويقين بأن ما عند الله خير من هذا كله لأنه الأبقى والأنفع.

ولنبق مع النص القرآن ونرى هذا المشهد، يقول الحق سبحانه: ﴿ فَخَرَجَ

عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾.

وهكذا انقسم القوم إلى طائفتين:-

أ - طائفة فتنت بالمال، وخدعتها الزينة، وتمنوا أن يكونوا مثله، وقد وصفتهم الآيات بأنهم يريدون الحياة الدنيا، فهم غافلون عن الآخرة غير طالبين لها، ولا راغبين فيها، ولا منتظرين لنعيمها، وقد انحصر همهم وفكرهم في الدنيا ونعيمها الزائل، مفضلين ما فيها من زينة ومتاع.

ومن هنا قاسوا أنفسهم بقارون، فأحسوا بالفارق بينهم وبينه ومن ثم شعروا بحسرة الفقر وذل الحاجة، إنهم لا يملكون شيئًا من الدنيا وقارون يملك كل شيء فيها، وعلى هذا - حسب تفكيرهم ووفق ميزانهم للأمور - فقارون أفضل منهم وأكرم؛ لأنه الأغنى والأسعد حالاً منهم؛ ومن هنا تمنوا أن يكونوا مثله، وليتهم وقفوا عند الأماني لكنهم أصدروا حكمًا بحسن حظه وكريم منزلته وما ذلك إلاّ لأنهم نظروا إلى الزينة والمتاع والمال والترف فجعلوها دليلاً على حسن الحظ وكرم الإنسان وفضله؛ إذن هم ليسوا كذلك لأنهم حرموا كل هذه الأشياء.

إن سر انخداعهم بزينة قارون وفتنة ماله، واغترارهم بما معه هو أنهم ﴿ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ فلو لم يكونوا كذلك لما خدعوا وفتنوا، وهنا نجد القرآن يدعونا إلى معرفة أساس الخطأ الذي وقعوا فيه حتى لا نكون مثلهم وننظر إلى الحياة بهذا المنظار فنقع في مثل ما وقعوا فيه.

وقبل أن نبين رأي الفريق الآخر أو الطائفة الثانية علينا أن نبين:

من هو صاحب الحظ العظيم بالمقياس الصحيح؟

من أراد الآخرة يعرف قيمة الدنيا بالنسبة لها، فصاحب الحظ العظيم في الدنيا هو من آتاه الله الإيمان الصحيح والصلاح، ومنَّ عليه بالسماحة والرفق، وحسن الخلق، وزيادة على ذلك آتاه مالاً كثيراً ومنَّ عليه بهذه النعمة، ومن ثم جعله يتذوق طعم الرضى والطمأنينة والسعادة؛ في استعمال هذه النعم فيما أراده الله، وأطاع الله في الرفق بعباده المحتاجين.

ومن خلال هذا المفهوم يتضح لنا أن قارون لم يكن ذا حظ عظيم؛ لأنه لم يكن مؤمنًا، بل كان طاغيًا متكبرًا، ولهذا ليس له في الآخرة إلا النار، ولن تدفع عنه أمواله، وكنوزه النار، فهل من المعقول أن يكون ذا حظ عظيم ومآله جهنم وبئس المصير؟.

والآن نعود إلى بيان رأي الطائفة الثانية:-

ب- الطائفة الثانية، هم الذين لم يفتنوا بالمال، ولم تخدعهم زينة قارون؛ لأن هؤلاء مؤمنون عالمون، أنار الله بصيرتهم، فنظروا إلى مال قارون بمنظار العلم، ووزنوه بميزان الإيمان، فإذا به في النهاية لا يساوي شيئًا مما عند الله للمؤمنين الطائعين؛ ولذلك جاء ردهم ونصحهم للمفتونين على النحو الآتي:-

* **رد المؤمنين أهل العلم والإيمان على المفتونين:**

عندما سمع هؤلاء المؤمنون أهل العلم مقالة هؤلاء المفتونين الذين يريدون الحياة الدنيا ردوا عليهم مستعملين صيغة ردع وحث على ترك ما لا ينبغي، وفي الوقت نفسه هو تذكير لهم بما أعده الله للمؤمنين الصالحين في الدار الآخرة وهو خير مما ترون عند قارون، وفي الحديث النبوي يقول الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٧].

فثواب الله الدائم الباقي خير من كل الدنيا وما فيها، لكن هذه الحقيقة من يدركها؟ يجيء الجواب في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ**﴾. فلا ينال هذا الثواب ولا يستحق هذا الجزاء إلا من صبر على الابتلاء، وصمد أمام فتنة المال رغم الحاجة الشديدة.

*** التعجيل بالعقاب في الدنيا، والنهاية المروعة:**

لقد كان قارون بماله الكثير، وزينته الفاتنة، ابتلاءً وامتحانًا لقومه، ابتلاهم الله، وامتحنهم به، وكانت النتيجة الطبيعية أن ينجح بعضهم ويرسب بعضهم الآخر، وعلى هذا تكون مهمة قارون قد انتهت بجعله امتحانًا واختبارًا، وعلى هذا يكون إمهال الله لقارون قد انتهى، لقد أمهله الله لعله يتذكر فأبى، ونُصح فلم يسمع النصح، ووعظ فلم يتعظ؛ فكان لابد من العقاب، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ...**﴾. إلخ الآية فمتى خسف الله به وبداره الأرض؟

بعد خروجه على قومه في زينته، والمتأمل في آيات الله يلحظ الربط بين جملتين بالفاء.

الأولى: ﴿**فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ**﴾.

الثانية: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ**﴾.

ومن المعروف أن الفاء تعطينا ترتيب الثانية على الأولى وأن تكون بعدها، مباشرة جاء العقاب هكذا، ابتلاع الأرض له ولماله، فهوى في بطن الأرض التي علا فيها، وتكبر فوقها، واستطال على أهلها، وذهب ضعيفًا عاجزًا، لا ينصره أحد، ولا ينتصر هو بجاهه أو ماله، وكان هذه الصورة

تقول لهم ولغيرهم من بني البشر إلى قيام الساعة: إن الإنسان مهما كان قدره، ومهما كان ماله فهو في يد القدرة القادرة تطويه في غمضة عين هكذا يكون العقاب عبرة لقارون وأمثاله من الأغنياء المتكبرين.

وفي هذا الموقف نذكر حديث رسول الله ﷺ: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم» ومعنى يذهب بنفسه: أي يرتفع ويتكبر. يصور صاحب الظلال – رحمه الله – عقاب الله لقارون بهذا الأسلوب الجميل: «وهكذا يرسم القرآن مشهد قارون المروع، إنه مشهد يهز القلوب هزًا، ويخلعها خلعًا، مشهد الهول المفزع الذي يلقي في النفوس الخوف والرعيب.. لقد هوى في بطن الأرض وذهب يتجلجل فيها... لقد هوت معه الفتنة الطاغية التي جرفت بعض النفوس؛ وردتهم الضربة القاضية إلى الله؛ وكشفت عن قلوبهم قناع الغفلة والضلال.»

وبعد ما حدث لقارون تغير الموقف واستيقظ العقل الإيماني عند الإنسان الذي غفل عن الحقيقة لحظة فتنة المال فحمد الله وشكره.

موقف جديد ... وشكر لله:

وفي هذا تقول الآيات الكريمة: ﴿**وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا**

﴿خَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ .

إنها صحوة إيمانية تغمر القلوب، ونور الحقيقة يضيء في الأبصار والبصيرة، فهؤلاء الذين تمنوا أن يكونوا مثل قارون بالأمس واعتبروه ذا حظ عظيم وقفوا اليوم يحمدون الله أن لم يستجب لهم، ولم يؤتهم ما آتى قارون، فعلوا ذلك وهم يرون المصير المذل المخزي البائس الذي انتهى إليه هو وماله بين ليلة وضحاها كما أن الثراء ليس دليلاً على رضى الله وحبه للإنسان، فهو يوسع على أناس في الرزق ويضيق على آخرين لأسباب أخرى غير الرضى والغضب.

ولو كان دليل رضاه ما أخذ قارون هذا الأخذ الشديد، إنما هو ابتلاء يعقبه بلاء. كما علموا أيضًا أن الكافرين لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة، وإن كان قارون لم يجهر بكلمة الكفر، لكن انحيازه إلى فرعون في طغيانه وتكذيبه لموسى عليه السلام، واغتراره بماله ونسبته إلى نفسه ما عنده من العلم ونفيه عن الله سبحانه، كل هذا جعلهم يعدونه في زمرة الكافرين، ويرون أن نوع هلاكه هو هلاك الكافرين.

وهكذا انتصرت القلوب المؤمنة، بتدخل القدرة القادرة، حيث رجحت كفة الإيمان في ميزان العدل الإلهي ومن هنا يأتي هذا التعقيب المناسب.

تعقيب قرآني للعبرة:

بعد انتهاء قصة قارون بهذا العذاب الشديد، وهذه النهاية المروعة وبيان موقف الفريقين من بني إسرائيل. من فتنوا بالمال ومَنْ لم يفتنوا جاء تعقيب القرآن الكريم عليها، ليقدم درسًا إيمانيًا وعبرة حقيقية يستفيد منها أصحاب البصائر النيرة، والقلوب المؤمنة النقية.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

إن هذا التعقيب القرآني يلفت أنظار وقلوب المؤمنين إلى الدار الآخر، ذات النعيم الخالد، ليسعوا إليها بجد ويجعلوها مرادهم، ويبتغوها في كل ما آتاهم الله من متاع الدنيا، وحتى لا تسيطر الدنيا على قلوبهم، وتستولي على أفكارهم، فلا يجعلوا الدنيا أكبر همهم ولا مبلغ علمهم، ولا منتهى آمالهم، إن القرآن الكريم يضع بهذا التعقيب الميزان الدقيق للقيم كلها في هذه الحياة الدنيا، كما يبين القرآن الكريم أهم صفات هؤلاء الذين يريدون الدار الآخرة فما هي؟

أهم صفات أهل الآخرة:

١- الاستقامة والاعتدال في التمتع بما في الحياة من نعم الله.

٢- التواضع وعدم التعالي والتكبر على الناس فلا تطغيهم النعمة ولا يطرهم المال.

٣- عدم الإفساد في الأرض بما آتاهم الله من النعم والأرزاق، بل هم صالحون مصلحون في الدنيا، محسنون إلى من هو في حاجة إلى الإحسان، متعاونون على الخير والبر. وبعد هذه الصفات يضع القرآن قاعدة ربانية ثابتة لا تتغير بتغير الزمان ولا تتبدل بتدبل الأحوال؛ هي أن العاقبة دائمًا للمتقين. فما أجمل هذه العاقبة، وما أطيب هذه النهاية للذين يخشون ربهم ويراقبونه ويتحرجون من غضبه، ويبتغون رضاه.

ولكن قبل أن نترك الحديث عن هذا التعقيب نضع أمام العيون المؤمنة، والقلوب المخلصة تعريفًا سهلاً يوضح معنى التقوى حتى نكون من أهلها إن شاء الله.

ما هي التقوى؟

التقوى هي شعور في الضمير، وحالة وجدانية، تنبثق منها جميع اتجاهات وأعمال الإنسان في هذه الحياة، بحيث تتفق مشاعره القلبية مع تصرفاته الخارجية الظاهرة للناس إنها عملية تصل الإنسان بالله في سره وجهره، فتزيل الغشاوة عن الأبصار فترى المنعم قبل أن تفرح بالنعمة،

وتشكر المحسن قبل أن تحسن إلى غيرها، ترى أن كل ما عندها من نعم وخير إنما هو من عند الله المستحق للشكر والطاعة وحسن العبادة، فلا تتصرف فى هذه النعم إلا حسبما يرضيه. تلك هي التقوى، فهل نسعى إلى تحقيقها في ذواتنا، وأن نكون من أهلها؟

obeikandl.com

دروس وعبر في قصة قارون:

في هذه القصة كما في غيرها من قصص القرآن الكريم من الدروس ولعبر ما يفيد الإنسان في حياته الدنيا، وما يمهد له طريقه الصحيح إلى الآخرة، ما يجعل حياته في الدنيا طيبة، وما يجعلها في الآخرة نعيماً مقيماً وهذه الدروس المستفادة هي:

١- عندما أعطى الله قارون مالاً كثيراً لم يكن ذلك العطاء دليلاً على رضى الله عنه كما قال أولئك الذين تمنوا أن يكونوا مثله في العطاء وخاصة عندما خسف الله به وبداره الأرض حيث تجلت لهم هذه الحقيقة، وعلينا أن نعي هذه الحقيقة لأنها من حقائق الإسلام، كما يجب علينا أن ندرك أن تضييق الرزق على العبد لا يعني سخط الله عليه، فإن الله يرزق المؤمن والكافر ويمد كلا منهما من عطائه ولم يحظر عطاءه عن أحد، وإنما هو فضل من الله يختبر به عباده.

إذن علينا أن نعي من خلال هذه الدرس الأمور الآتية:

أ - الله رب جميع الناس لذا يعطي المال للمؤمن والكافر على حد سواء.

ب-الأموال في حد ذاتها لا تقرب صاحبها من الله إلا إذا استعملها في مرضاته.

جـ- بسط الرزق من الله لعباده، أو تضييقه عليهم لا يدلان على حب

الله لمن يبسط له وبغضه لمن يضيق عليه.

٢- إذا كثر المال عند الإنسان كثرت عنده وسائل تحقيق رغباته وشهواته؛ لأن المال وسيلة يتوصل بها الإنسان إلى ما يريد من رغبات وشهوات، وهنا تأتي الفتنة، فإذا لم يحذر الإنسان من هذه الفتنة فسوف يقع في البطر والخيلاء، ويخرج من هذا الاختبار خاسراً دنياه وأخراه، وبالتالي يجب عليه أن يقوم بشكر الله على هذه النعمة؛ وذلك بأداء حق الله فيها لعباده الفقراء كما لا ينسى أن ينال حظه منه في إطار ما شرع الله، هذه الموازنة تخرجه من هذا الاختبار فائزاً في الدنيا والآخرة.

٣- من الصفات التي تميز المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقديم النصح لمن يستحقه يدخل في هذا الإطار، ولقد قام المؤمنون الصالحون من قوم قارون بهذا الواجب وأسدوا إليه النصح ولكنه لم يستجب لنصحهم، ولم يلتفت إلى إرشادهم له؛ ومن هنا لم تثمر النصيحة؛ إذن من واجب المؤمن أن ينصح أخاه بما يراه خيراً له، وعليه أن يستجيب لنصح أخيه ويعمل به، فلا فائدة من نصيحة لا تقبل، ولا أمل في منصوح لا يمتثل.

٤- النهي عن النظر إلى ما عند أهل الدنيا من مال وزينة بإعجاب ولعل

وجه العبرة في ذلك أن الإعجاب بهؤلاء، ومحبتهم، وتمني أن نكون مثلهم يؤثر في النفوس وينسيها ما عند الله، فلا يرضى الإنسان بما أعطاه الله من مال قليل ويعد هذا من الله امتهانًا له، وهذا يخرج الإنسان من دائرة الإيمان الصحيح، فلا يرضى بما قسمه الله له، ويتمرد على قضاء الله وقدره، وهذا ما لا يرضاه الله لعباده، فهذه الأموال زهرة الحياة الدنيا فهي زائلة وما عند الله خير وأبقى.

٥- يجب أن يكون نظرنا إلى زينة الدنيا ونعيمها مقرونًا بنعيم الآخرة مما لا ريب فيه أن للمال إغراء، ولمتاع الدنيا بهجة في النفوس، ولزينتها فتنة، ولكن إذا قورن نعيم الدنيا وما فيها من بهجة، وما لها من زينة، بنعيم الآخرة وعلم أن نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة لا يزول، إذا رسخت في النفس هذه الحقيقة وقارنا بين زائل ودائم، بين فانٍ وباقٍ، بين نعيم تدركه العيون وتعلم كنه حقيقته العقول وبين نعيم لم تره العيون من قبل ولم يخطر على قلب بشر، ونعلم أن هذا ما أعده الله لعباده الصالحين لاحتقرنا الزائل وعملنا للباقي. وهكذا يجب أن يكون الإنسان العاقل.

٦- من المعروف أن العقاب المستحق يكون في الآخرة، ولكن قد يعجله الله لمن يستحقه في الدنيا، إضافة إلى ما ينتظره من عقاب في الآخرة، كما عجل الله عقاب قارون في الدنيا حيث خسف به وبداره الأرض، وعلينا أن

ننظر إلى هذا التعجيل على أنه من رحمة الله بعباده حيث يجد فيه العقلاء تحذيراً لهم من الوقوع في المعاصي والبعد عن غضب الله، كما أن فيه إنذاراً ينتفع به بعض العصاة فينزجروا عن معاصيهم، وكذلك ينتفع به ضعاف الإيمان حيث يقوي إيمانهم، أما المؤمنون الصادقون فيحمدون الله على ماهم عليه ويواصلون.

كما يجب أن نؤمن أنه ليس من الضروري عقاب كل عاص في الدنيا، ولكن قد يؤخر ليوم القيامة حسبَ مشيئة الله.

٧- في قصة قارون حدث خطأ من طرف أهل الدنيا عندما تمنوا أن يكونوا مثل قارون ووصفوه بأنه ذو حظ عظيم، ولكن ما لبث أهل العلم النافع والإيمان الصحيح أن نبهوهم عليه، وقد أثبتت الوقائع صحة رأي أهل العلم وخطأ مريدي الدنيا، وعند ذلك أعلنوا ندمهم، ومن المعروف أن الندم توبة، وهذا ما يجب على كل إنسان إذا ما أخطأ وتبين له خطؤه أن يبادر بالندم على ما فعل، ويرجع إلى الله بتوبة صادقة عسى الله أن يقبلها ويغفر له.

٨- وأخيراً يجب أن نلفت نظر الأغنياء أصحاب الأموال، هؤلاء الذين منحهم الله من نعمه الكثير عليهم أن يستعملوها في خير أنفسهم وخير

مجتمعهم حتى لا تكون أموالهم نقمة عليهم في الدنيا، ويعذبون بها في الآخرة.

هذا وبالله التوفيق

تمت ولله الحمد.

obeikandl.com

obeikandl.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
نسب قارون وصلته بموسى عليه السلام	٩
قارون في كتاب الله	٩
ركائز الحكم في عهد فرعون	١٠
فائدة مهمة	١٢
مفاتح كنوز قارون	١٢
رفض الإسرائيليات في قصة قارون	١٤
المال وأثر في النفس البشرية	١٥
هكذا تحدث القرآن	١٦
نصح وإرشاد	١٧
خصائص المنهج الإلهي	١٨
موجز لقوعد المنهج الرباني	٢٤
الردة الفاجرة المغرورة	٢٦
المنطق القاروني الاقتصادي وأثره في المجتمعات	٢٧
تهديد وإنذار	٢٨
زينة وفتنة	٢٩

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة
صاحب الحظ العظيم	٣١
رد المؤمنين على المفتونين	٣٢
التعجيل بالعقاب في الدنيا	٣٣
موقف جديد وشكر لله	٣٤
تعقيب قرآني	٣٦
أهم صفات أهل الآخرة	٣٦
معنى التقوى	٣٧
دروس وعبر	٣٩
المحتويات	٤٥

obeikandl.com